الإسرائيلية التي ترى في شعبنا جاهلاً وخامل» ورعاة وسقاة، واعتبرنا إسقاطها خطوة ضرورية لإحراز أية أهداف أخرى.

فالنضال الفلسطيني مر في مراحل لم تعرفها الثورات الأخرى، فمثلاً لقد احتاجت الثورة الفلسطينية عدة سنوات لكيما تؤكد على وجود شعبنا ومثلها للتأكيد على هويته الكفاحية، أي أننا لسنا مجرد «أكوام من البائسين الذين ينتظرون التموين من وكالة الغوث»، وفي الداخل كان الاحتلال قد قطع شوطاً في نشر الرعب وتدجين أوساط من الشعب «أنتم مجرد مليون وقيادتكم تعيش الترف في شوارع الحمراء، تضللكم أنتم الشباب الفقراء بينما أبناء الزعامات في حانات أوروبا»... وقد قرأنا عبارة ماركس (على الطبقة العاملة أن تخوض النضال لكي تتعلم).

في مراسلاتنا الداخلية قلنا: هذه بروفة وتمرين شأن بروفة ١٩٠٥ في روسيا وثورة ١٩٢٣ في بلغاريا، والهجوم على ثكنة مونكادا في كوبا... وشحذنا العزائم وشددنا الأنظار لمقولتين: إدامة الجيشان والاستماتة في سبيل ذلك+ التهيؤ لمرحلة ما بعد الانتفاضة، والأولى تفضي للثانية وتتواشج معها، إذ كنا نخشى أن تنطفئ بتدرج أو أن يجري إخصاؤها سياسياً من قبل قيادات فلسطينية بعد أن تسربت مقولة «الاستثمار المتسرع للانتفاضة» والاتصالات بالخارجية الأمريكية. وأذكر أن وفداً من الكونغرس الأمريكي التقى ببعض النشطاء الميدانيين المحسوبين علينا فتساءل: لماذا لا تشاركون في هذه الاتصالات؟

لم نعمم ولم نكتب ولو لمرة واحدة، وما أكثر تعميماتنا ومراسلاتنا الداخلية، أن الانتفاضة وحدها قادرة على طرد الاحتلال وتفكيك المستعمرات، ومن هنا تفردنا برفض اللقاء ببيكر وزير الخارجية الأمريكي حينذاك، وناهضنا جولات الحوار ما قبل مدريد وما أفضت إليه، ولم تتردد بياناتنا في الدعوة لاستمرار المواجهات والتحذير من أية مشاريع تسووية في ظل ميزان القوى المختل جذرياً لصالح معسكر الأعداء. فإنجازات الانتفاضة كبيرة ولكن ميزان القوى لم يرجح لصالحنا، وكنا نؤيد ما أعلنه أمام بعضنا الدكتور يسرائيل شاحاك «إذا لم يحمل الجيش التوابيت يومياً لن يخرج من الأرض المحتلة»، وكنا نتابع التحولات في الشارع الإسرائيلي مستفيدين من خبرة التجربة الفيتنامية التي قالت: لقد هزمنا العدوانية الأمريكية في شوارع نيويورك قبل أن نهزمها في أرض الميدان، اتصالاً بحجم الخسائر الأمريكية التي ناهزت ٥٠ ألف قتيل و١٠٠ مليار دولار، أما الشارع الإسرائيلي فقد اتجه يميناً بعد شهرين من اندلاع الانتفاضة رغم ارتفاع أصوات نقدية للاحتلال وسياساته، فأكثر من ٧٠٪ أيدوا القبضة الحديدية... وجاءت نتائج انتخابات الكنيست